اصول التعليم

٣

خلاصة تقرير اللجنة الفرعية عن انتظام الدروس في المدارس الابتدائية

يراد بانتظام الدروس الامور التالية وهي

اولاً ترتيب المواضيع في العلم الواحد حتى تكون متدرجة ومناسبة لفهم التلميذ ونمو عقله وحتى يكون كل قسم منها اساساً للتعليم الذي بعده في ذلك العلم نفسه وفي العلوم الاخرى التي تعلَّم معهُ

ثانياً ترتيب الدروس كلها حتى ان ما يدرَّس منها في كل فصل يشمل كل اقسام المعارف وتكون مناسبةً لسن الطالب بحيث يتعلم كل يوم شيئاً من كل علم من العلوم التي تناسب سنهُ فلا يهمَل علمٌ ولا يعتنى بعلم اكثر مما يقتضيه

ثالثاً ترتيب فصول كل علم حتى يكون من درسها افضل ممرّن للقوى العقلية فتنمو هذه القوى بحسب ترتيبها الطبيعي ولا يعتنى بواحدة اعتناء زائداً عن الواجب ولا تهمل اهمالاً يضعفها او يحرفها عن مجراها الطبيعي

رابعاً اختيار الدروس التي تجعل الطالب يدرك احوال العالم ويعرف كيف يستفيد منهُ ويستعين بغيره من ابناء نوعه . فانهُ لا يكفي الطالب ان يتعلم العلوم والفنون التي تعلمها المدارس بل يجب عليه ان يتربى قبل المدرسة وفيها وبعدها على اخلاق وعادات تؤهلهُ للمعيشة والعمل وللقيام بما يطلب منهُ نحو نفسه وامته ووطنه ولا يكون ذلك بدرس القواعد والقوانين مجردة عن المثل الحسية ولا بتحميل العقل فوق ما يحتملهُ او ما يعلو على طوره

اي ان التعليم يجب ان يمرّن القوى العقلية تمريناً نافعاً للعمل لا تمريناً مقتصراً على تقوية العقل وهو كالرياضة البدنية فانهُ قد يقتصر فيها على تمرين الاعضاء من غير ان تكسب المرء مهارةً في عمل نافع كما يقتصر في التعليم على تقوية الارادة والذهن والذاكرة والتصوُّر من غير ان يدعو المتعلم الى استعمال قواهُ في مصلحة العمران . وذلك قاصر عن الغاية المقصودة من التعليم . ولا تنال هذه الغاية الاَّ اذا قُصِد العمل مع العلم اي اذا رُبِّيت قوى التلميذ العقلية تربية توَّهلهُ ليكون عضواً نافعاً في المجتمع الانساني قائماً بما يجب عليه لبيته وامته ووطنه

اما العلوم التي يجب ان تعلَّم في المدارس الابتدائية حيث يتعلم الطلبة من السنة السادسة الى الرابعة عشرة فهي اللغة والحساب والجغرافية والتاريخ وهاك تفصيلها

اللغة

يراد بدروس اللغة القراءة والكتابة والصرف والنحو والبيان . والكتابة والقراءة ليستا غاية بل وسيلة ويجب ان يتعلمهما التلميذ بين السنة السادسة والعاشرة من عمره . وليست القراءة بالامر السهل لان تحليل الجمل الى كلمات وتمييز كل كلمة عن غيرها لفظاً ومعنى من اعسر الافعال العقلية فانهما يشغلان الفكر والذكر والتصوُّر . والعادة الجارية في تعليم القراءة تقتصر على تعليم التلامذة لفظ الكلمات دون معناها وذلك خطأ بيّن فيجب ان يُعلَّم التلميذ معنى كل كلمة على اسلوب يوصلهُ الى معناها تدريجاً ويجعلهُ يفهم ذلك المعنى فهماً واضحاً . فتُقضى السنوات الثلاث الاولى في تعلم صور الكلمات التي ينطق بها التلميذ عادةً او تستعمل في خطابهِ ويجب ان يعلم صورها طبعاً وخطاً . اي ان الكلمات التي يفهمها حالما يسمعها يجب ان يفهمها حالما يراها مكتوبةً او مطبوعةً . وليس من الحكمة ان يتعلم قراءة كلمات جديدة لا يفهم معناها بالسمع قبلما يتقن قراءة الكلمات التي يفهم معناها بالسمع . ولكن حالما يتقن قراءة هذه الكلمات يعلَّم قراءة فصول مكتوبة بلغة فصيحة ويجب ان تختار هذه الفصول متدرجة في فصاحتها مما فيهِ كلمات قليلة غير مألوفة لديهِ الى ما فيهِ كلمات كثيرة غير مألوفة . ولا بدَّ من التدرُّج على حسب مقدرة التلميذ حتى لا تجهد قواهُ العقلية دفعةً واحدة ولا بد من ان يكون موضوع هذه الفصول مألوفاً لديهِ او مما يسهل عليهِ فهمهُ وترقى بهِ مداركهُ رويداً رويداً فيصير يفهم معنى تصوراتهِ ومعاني الذين حولهُ

ولا بدَّ ايضاً من التدرُّج في هذهِ الفصول والانتقال منها الى الاشعار البليغة التي تصف جمال الطبيعة وسمو الفضائل ويضاف اليها صور تمثل المناظر العظيمة طبيعيَّة كانت او صناعيَّة فان الصور تسهِّل فهم المعنى ولا سيما اذا حاول التلميذ تمثيلها او نقلها فان ذلك يهذب ذوقهُ ويحبِّب اليهِ جمال الطبيعة

ومطالعة هذه الفصول والكتب المنقولة هي عنها تجعل في نفس التلميذ ملكة اللغة . ولا تنال هذه الملكة بدرس الصرف والنحو والبيان بل بمطالعة الكتب البليغة والتمرُّن عليها حتى تصير جملها وطرق التعبير فيها ملكة في النفس . وهٰذا لا ينفي درس علوم اللغة اي الصرف والنحو والبيان فان هذه العلوم لا بدَّ منها ويجب ان يكون لها المقام الاول دائماً لانها تعلم التلميذ علم تفكيك الكلمات والجمل وتركيب الكلام بحسب دلالتهِ المعنوية وتحديد المعاني بحدودها المنطقيَّة وليس ذلك بالامر السهل ولا هو قليل الفائدة . ولكن لا بدَّ من تسهيلي

علوم اللغة عَلَى الطالب بقدر الامكان واعطائهِ منها عَلَى قدر مقدرتهِ لئلاَّ يُثقل عقلهُ ويقف نموُّهُ . ومن هذا القبيل الاهتمام بالتفاصيل الجزئيَّة فانهُ قد يحول دون الاهتمام بالقضايا الكليَّة[1] . ومثل ذلك الافراط في حفظ الكميات فانهُ يحول دون فهم الكيفيات وفي حفظ البراهين الجبريَّة والهندسيَّة من غير تطبيقها عَلَى الاشياء العمليَّة فانهُ يوقف نمو العقل ويجعلهُ قاصرًا عَلَى الافتكار بالارقام والحروف والخطوط والزوايا

ومن هذا القبيل الاقتصار عَلَى التفكيك والاعراب من غير نظر الى الجمل وما فيها من الانطباق عَلَى ما تصفهُ او ما يُعبَّر بها عنهُ فان ذلك بمثابة من ينظر الى بناء عظيم فلا يلتفت الاَّ الى ما فيهِ من الحجارة والطين من غير نظر الى اسلوب الباني والغرض من البناء . او كمن ينظر الى كتب كثيرة فلا يلتفت الاَّ الى اشكال حبرها وورقها

ويجب ان لا يقوم تعليم اصول اللغة مقام درس آداب الانشاء . فاذا قرأ التلميذ قصيدةً او فصلاً من انشاء شاعر او كاتب بليغ وجب عليهِ ان يعرف موضوع ما قرأهُ وعلاقتهُ بالاحوال الَّتي كُتب فيها او لما ثم يكتشف غرض الكاتب وكيفيَّة بلوغهِ اليهِ

وفي كل قصيدة او فصل امران الواحد فني والآخر ادبي فيجب ان يُرشَد التلميذ اليهما كليهما ولكن يقدَّم الارشاد الى الامر الفني عَلَى الارشاد الى الامر الادبي ولا يجتزئ بالاول عن الثاني والاَّ لم يعد التلميذ يلتفت الى المغازي الاديبيَّة . ومعلوم ان المغازي الاديبيَّة تكون غالبًا خفيَّة يعسر عَلَى التلميذ استجلاؤها من نفسهِ فيكتفي ببهارج الانشاء الظاهرة الاَّ ان المغازي الاديبيَّة لا تلبث ان تنبه سواكن العواطف فتدركها وتنفعل بها كما اذا قرأ رواية تعيب بعض الشرور وتقضي بعقاب مرتكبيها فانهُ يؤاخذ نفسهُ اذا كانت تلك الشرور فيهِ مؤاخذة تُبرئهُ منها

وليس الغرض مما تقدم ان يُهمَل درس قواعد اللغة والتمرُّن فيها بل ان يجعل هذا الدرس اساسًا لدرس اسمى منهُ وهو فهم المعاني والمقاصد الفنيَّة والاديبيَّة . وسيذكر نقسم دروس اللغة في القسم الثالث عند الكلام على ترتيب الدروس (بروجرام)

---

(١) (المقتطف) حضرنا مرةً امتحان الطلبة في مدرسة كبيرة فسأل الاستاذ احدهم عن مجرَّرات الابتداء بالنكرة فسردها كلها على ما هي مذكورة في ابن مالك والاشموني والصبان ولم يترك منها شيئًا ثم سألناهُ عن حقيقة المبتدا فوجدناهُ لا يميز بينهُ وبين الفاعل